تاريخ يهود الإسكندرية عبر الأحقاب الزمنية المختلفة

مقدمة من الباحثة

رباب إبراهيم عبد الحليم عبد ربه

باحثة ماجستير بقسم اللغة العبرية بكلية الآداب جامعة حلوان

إصدار يوليو لسنة ٢٠٢٣م

شعبة الدراسات العبرية

يهود الإسكندرية في عصر البطالمة:

كانت مصر تحت حكم البطالمة من بين الدول الهيلينستية التى استوعبت عددًا كبيرًا من اليهود الذين هاجروا من يهوذا وانتشروا على نطاق واسع فى تلك الدول، فكثيرا من اليهود هاجروا إلى مصر فى فترات مختلفة من تاريخها فوجدوا فيها الحياة الرغدة الآمنة التى كانوا ينشدونها. فالمصادر التاريخية تؤكد وتوثق وجود اليهود في مصر بصفة مستمرة بأعداد مختلفة بدءًا من القرن السادس قبل الميلاد، وأنهم انتشروا في منف والفيوم ودهشور وأخميم وطيبة، إلا أن هناك وثائق تؤكد وجود جالية يهودية في جزيرة الفانتين في أسوان. وقد كبرت الجالية وبنوا معبدا بجوار معبد خنوم، الإله المصرى الفرعونى لهذه المنطقة، ويرجع تاريخ هذه الجالية إلى ما قبل عام ٥٣٥ قبل الميلاد. بعد غزو الإسكندر الأكبر لمصر زادت المستعمرات اليهودية في مصر، ولم تكن مصر لتخلو تماما من اليهود فى بداية العصر البطلمى، فزادت الهجرة اليهودية إلى مصر من عام ٣٢٢ قبل الميلاد إلى عام ٣٠ بعد الميلاد[١].

وفي القرن الأول الميلادى كانت تعيش في مصر أعداد كبيرة من اليهود، ولكن الثقافة اليونانية القديمة طغت وتمت ترجمة الإنجيل إلى اليونانية. وانتعشت الطائفة في فترات مختلفة، وتم التضييق عليها وانخفض عددها في فترات أخرى، ووجود اليهود في مصر قبل هذا التاريخ الموثق يرجع إلى الكتب الدينية، ولكن لا أثر له في أوراق البردي أو على حوائط المعابد والمقابر[٢].

ومن المرجح أنه كانت لا تزال بها بقايا بعض الجاليات اليهودية من العصر الفارسي. وأن هجرة اليهود الجديدة دفعتها وبعثت فيها الحياة من جديد. وعلى أى حال فإن اليهود انتشروا فى شتى أرجاء مصر وقامت لهم بها جاليات منظمة، كان أبرزها جالية الإسكندرية دون شك وقد نقل اليهود إلى تلك المدينة التى أصبحت فى وقت وجيز من أهم مدن العالم الهيلينستى، فنشاطهم الفكرى والاقتصادى جعل منها مركزًا من أهم مراكز اليهودية حتى أنه كان لا يقل خطورة وأهمية عن أورشليم أو بابل يوم أن كانتا من أهم تلك المراكز فى العالم،حيث إن جالية الإسكندرية أخرجت ليهود العالم المنتشرين فى كثير من أنحائه الترجمة الإغريقية للتوراة، أو بعبارة أخرى التوراة فى صورتها الإغريقية. ومن الإسكندرية انساب اليهود إلى كثير من أقطار البحروأصبحوا عنصرا مهما من عناصر سكانه[٣].

---

[١]- כשר, אריה, יהודי מצרים ההלניסטית והרומית במאבקם על זכויותיהם, אוניברסיטת תל אביב, תשל"ט, עמ' 24.

[٢]- محمد ابو الغار، يهود مصر في القرن العشرين: كيف عاشوا ولماذا خرجوا؟، مرجع سابق، ص ٧.

[٣] - عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص٦١.

ووفقا للمؤرخ اليهودى "يوسفيا" أو يوسيفوس فإن الإسكندرعندما كان يحاصر صور بعث إلى الحبر الأعظم فى أورشليم يطلب إليه أن يمده بجند يعينونه على حصارها فأبى عليه الحبر ذلك تعبيرًا عن ولائه للملك دارا الثالث، وعندئذ ثارت ثائره الإسكندر وأقسم أنه سيعطى يهود أورشليم فى شخص حبرهم درسا لن ينسوه وعندما تقدم الإسكندر إلى أورشليم بعد استيلائه على غزة أوجس الحبر الأعظم منه خيفة ولكن أوحى إليه أن يتخذ وزملاؤه الأحبار ملابس بيضاء وأن يكونوا فى استقبال الإسكندر خارج المدينة، وما أن رأى الإسكندر الحبر الأعظم حتى هرع إلى تحيته وقد فسر الإسكندر إلى رافقيه سبب تصرفه على هذا النحو الذى أدهشهم بأن هذا الحبر تراءى له فى منامه فى مقدونيا مبشرا أباه بالنصر على الفرس[٤]. بعد ذلك ذهب الإسكندر مع الحبر الأعظم إلى هيكل أورشليم حيث قدم القرابين إلى رب اليهود وعرض عليه اليهود سفر دانيال الذى تنبأ فيه هذا النبى بأن أحد الأغارقة سيقضى على إمبراطورية الفرس ورحب اليهود بالخدمة فى جيشه عندما عرض عليهم ذلك وأقطع الجند السامريين الذين صحبوه إلى مصر أرضا فى إقليم طيبة وعهد إليهم كذلك بأعمال الحراسة فى هذا الاقليم. ينبغى ألا نعول كثيراعلى ما ذكره يوسفيا إذ أن ذلك لا يعدو أن يكون ضربا من ضروب الدعاية التى حذقها اليهود فى العصرين الهيلنيستى والرومانى وعملوا على ترويجها دون أى اهتمام بالحقائق التاريخية. وكانت هذه الدعاية تهدف، بين ما تهدف إليه إلى أن تنشر بين الناس أن اليهود كانوا موضع عطف الإسكندر وحبه وأنهم كانوا يقيمون فى الإسكندرية منذ اللحظة الأولى التى أنشئت فيها هذه المدينة ليتخذ اليهود من هذه المزاعم دعامة قوية يرتكز عليها ما ادعوه لأنفسهم من حقوق وامتيازات كان مصدرها الإسكندر نفسه[٥].

وكان من بين العبيد الذين جلبهم معه بطليموس الأول إلى مصر بعض اليهود بمحض رغبتهم بعد أن لمسوا عطف الملك، الذى أدرك من ناحيته إمكانية استخدام اليهود فى جيشه فنقل أعدادا منهم ومنحهم إقطاعات ليستقروا فى مصر كالإغريق والمقدونيين. لقد اجتذبت الحياة الجديدة فى مصر هجرات يهودية وفدت لتنعم بخيرات البلاد. وبصفة عامة لم يكن المهاجرون الأوائل الذين أتوا إلى مصر فى الفترة الأولى من الطبقات الممتازة فى مملكة يهوذا أو من

---

[٤]- צ'ריקובר, אביגדור, אלף שנות היסטוריה יהודית במצרים: תולדות יהודי מצרים מכיבושה על ידי אלכסנדר מאקדון ועד כיבושה בידי הערבים, תרגם מאנגלית: אוריאל רפפורט, תל אביב: ב. צ'ריקובר, 1974, עמ' 52.

[٥]عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص٦٢

الطبقات التى كانت قد تأغرقت بشكل واضح، بل كانوا فلاحين بسطاء وأسرى حرب وجندا مرتزقة وأجراء يعملون فى الزراعة أو رعى الماشية، وقد عمل الأسرى منهم فى الخدمة العسكرية أو أقطعوا أرضا زراعية كما فعل بطليموس الثالث عندما أنزل فى أراضى الفيوم التى استصلحت حديثا من أسرى اليهود الذين أتى بهم بعد انتهاء حملته فى سوريا. ولا تتوقع لقوم على هذه الشاكلة أن يكون لهم أى نفوذ أو تأثير فى مجريات الأمور فى البلاد.

ولذلك فإن هذه الفترة تمتاز بأن اليهود كانوا يعيشون فى هدوء وسلام ولم يحدث شيء من شأنه أن يعكر صفو العلاقات بينهم وبين جيرانهم من الإغريق أو المصريين بل أنهم عملوا على اكتساب ثقة البطالمة الذى فتحوا أمامهم أبواب العمل فى الوظائف الحكومية وفى الجيش وفى مختلف المهن والحرف، فقد كان اليهود أحد العناصر التى شجعها البطالمة على الوفود إلى مصر والاعتماد عليهم لتثبيت دعائم حكمهم، وليكونوا سندًا لهم فى استغلال ثروات البلاد وتنمية مواردها. كما تعد هذه الفترة أيضًا مهمة جدا بالنسبة لتاريخ اليهود فى مصر لأنها كانت بالنسبة لهم فترة استقرار بطيء فى أرض جديدة وفى بيئة غريبة عنهم بعض الشيء، فنشطوا إلى إقامة المعابد وتشكيل الجاليات وتوفير البيئة المناسبة لحياتهم طبقا لتعاليم التوراة وكانت المعابد وبصفة خاصة معبد الإسكندرية "المعبد الكبير" بمثابة المراكز التى يتجمعون حولها ويديرون منها شئون دينهم ودنياهم[٦].

وإذا تحدثت مصادرنا عن معبد لليهود فى مكان ما، فإن هذا معناه أنه كانت تقوم لليهود فى هذا المكان جالية منظمة ونسب إلى هذه الفترة ترجمة التوراة إلى اللغة الإغريقية. وفى هذا دلالة على أن اللغة الإغريقية حلت محل اللغة العبرية أو الآرامية فى معاملات اليهود فيما بينهم وفى التفاهم مع جيرانهم بحيث استدعى الأمر ضرورة التعجيل بترجمة التوراة إلى اللغة الإغريقية. فقد استمر استقرار اليهود فى مصر البطلمية نحو مائة سنة نعموا فيها بالحماية والازدهار إلى أن تدخلت الصراعات السياسية وخياناتهم المعتادة لتحيل حياتهم إلى نوع من الاضطراب وعدم الاستقرار[٧].

ففى سنة ٥٥ ق.م اتخذ تدخل اليهود فى شئون مصر مظهرا خطيرا وذلك أنه فى تلك السنة اقتحم جابينيوس حاكم سوريا الرومانى حدود مصر الشرقية ليعيد بطليموس الثانى عشر أو ليتس إلى عرشه. وبفضل حامية يلزيوم اليهودية التى أفسحت الطريق أمام الجيش الرومانى إطاعة لأوامر انتيباتر

---

[٦]- צ'ריקובר, אביגדור, אלף שנות היסטוריה יהודית במצרים: תולדות יהודי מצרים מכיבושה על ידי אלכסנדר מאקדון ועד כיבושה בידי הערבים, שם, עמ' 55.

[٧]عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص٦٣

"والد هيرود الأكبر"استطاع جابينيوس أن ينجح فى مهمته بكل سهولة. وتخلى اليهود عن برينيكى الرابعة التى كان رعاياها من الإغريق راضين عن حكمها.

وفى سنة ٧٤ ق.م عندما كان يوليوس قيصر محاصرا فى الإسكندرية جاءت إلى نجدته حملة رومانية كان يقودها مثراداتيس البرجامى، وقد كان فى إمكان حامية ليوتنوبوليس اليهودية أن تقف فى وجه الجيش الرومانى لولا أنه أبرز خطابا فى أتنيباتر بأن يبذل يهود مصر المساعدات لهذا القائد. وهكذا للمرة الثانية استطاع الجيش الرومانى الوصول إلى الإسكندرية بفضل مساعدة اليهود[٨].

وقد كان من الطبيعى أن يحقد الإسكندريون على اليهود وألا يغفرون لهم هذه الخيانة المتعمدة فى المرتين. ويخبرنا يوسفيوس بعد ذلك بأن كليوباترة السابعة- آخر ملوك البيت البطلمى- عندما قامت بتوزيع القمح على مواطنى الإسكندرية فى إحدى المجاعات التى المت بها استبعدت اليهود باعتبارهم غير مواطنين. ولا يبعد أن تكون كليوباترة قد لمست بنفسها من الشواهد ما يدل على أن اليهود كانوا يقفون فى صف خصومها وعلى كل حال فإنهم وقفوا منها موقفا سلبيًا فى صراعها اليائس مع أكتافيوس. ذلك الصراع الذى أنهى حكم البطالمة لمصر؛ وهكذا خذل اليهود الإسكندر للمرة الثالثة. وكان من الطبيعى أن تشتد روح العداء ضد اليهود وأن تتوتر العلاقات بينهم وبين الإغريق، وأن تنطوى صدور الإسكندريين على حقد دفين لليهود بسبب تلك الخيانات المتتالية. فقد فطن اليهود إلى أن حكم البطالمة آخذ فى الضعف والتدهور وأن الأمر سيؤول فى النهاية إلى روما عاجلا أو أجلا، ورأوا مصلحتهم فى المسارعة إلى كسب ود حاكم الشرق الجديد[٩].

كانت الخدمة فى الجيش والشرطة من أبرز الأعمال التى مارسها اليهود عقب مجيئهم إلى مصر، إذ أن وضعهم كأسرى لم يحل دون استخدام عدد منهم فى حاميات الحدود، أو ارسالهم فى عهد بطليموس الأول إلى برقة لتقوية قبضته على تلك البلاد، وقد خدم اليهود فى فرق المشاة والفرسان على حد سواء، ووصل بعضهم إلى رتبة الضباط، ومنهم من تولى مناصب قيادية بالجيش البطلمى مثل "خلكياس" و"أنا نياس". وتشير بعض المصادر التاريخية إلى احتمال أن رئيس الشرطة فى "اثريب" وكان لليهود نصيب فى أعمال الحراسة على النيل وكانت هذه المهمة تشمل تحصيل المكوس الجمركية[١٠].

---

[٨]-. בינין, ג'ואל, פזורת יהודי מצרים, רסלינג הוצאת ספרים, 2007, עמ' 27.

[٩] - المرجع السابق، ص ٦٤.

[١٠]- כשר, אריה, יהודי מצרים ההלניסטית והרומית במאבקם על זכויותיהם, שם, עמ' 26.

ولم يقتصر نشاط اليهود فى خدمة الحكومة البطلمية على النواحى العسكرية والشبيهة بالعسكرية فقد كان منهم بعض كبار رجال البلاط الملكى فى العاصمة وكذلك بعض كبار الموظفين فى مختلف فروع الإدارة الحكومية وخاصة فى الإدارة المالية مثل ابن دريمولوس الذي كان له مكانة بارزة فى بلاط الملك بطليموس الثالث وبطليموس الرابع، فقد كان فى عام٢٤٠ ق.م سكرتيرا للملك. وكان هناك دور كبير لليهود في الشئون المالية ويلاحظ أن غالبيتها ترجع إلى عصر بطليموس السادس وبطليموس الثامن، فكان منهم مديرى البنوك ومنهم من تولى الأشراف على مخازن التبن وأيضًا بعض اليهود كانوا يعملون في جباية بعض الضرائب مثل ضريبة النقل فى النيل، وصيد الأسماك وزراعة الكروم والنخيل، والمراعى، وصناعة النعال. كما أنهم اشتغلوا بالربا، ففي بردية من العصر الرومانى، نجد تاجرًا إغريقيًا حذر زميلا له فى الإسكندرية من اليهود، ولعله يقصد تحذيره من المرابين اليهود. فإنه يبدو بجلاء أن بعض يهود الإسكندرية على الأقل كانوا يعملون مرابين ويجنون أرباحا طائلة من وراء استثمار أموالهم بإقراضها بفوائد باهظة لمن كانوا فى حاجة إليها من رجال الأعمال[١١].

وكان لليهو نشاط حرفي، فيؤكد "جوستر" على أن التلمود قد أشار إلى وجود ما يمكن أن نسميه بلغة العصر "نقابات مهنية" خاصة بالصناع والحرفيين اليهود فى الإسكندرية، منها صناعة النسيج، والتجارة والفخار، وصناعة النبيذ. كما كان لهم نشاط زراعى وعملوا فى شئون الزراعة ويأتى فى مقدمتهم أرباب الإقطاعات من الجند اليهود الذين استوطنوا ريف مصر وكانوا أبرز العناصر اليهودية فى القرى واوسعها ثراء[١٢].

وكغيرهم من أرباب الإقطاعات من الأجانب كانوا يجمعون بين صفتهم العسكرية وبين عملهم فى الزراعة وقد تحولت إقطاعاتهم بمضى الزمن إلى ملكية خاصة يتوارثها ابناؤهم. وكانوا يقومون باستغلال أراضيهم بأنفسهم أو يعرضونها للإيجار مقابل ايجار ثابت يؤدى لهم. وإلى جانب أرباب الإقطاعات نجد كثيرين من الفلاحين اليهود العادين ممن يقومون على زراعة الأرض فى إقليم الفيوم ومصر العليا ومنهم من عمل كذلك فى تربية وتجارة الماشية[١٣].

---

[١١] - عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص٦٥:٦٦.

[12] - Mahaffy, Sir John Pentland The History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, New York 1899 p. 192.

[13] - Mahaffy, Sir John Pentland the History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, Ipid.

ومن الجدير بالذكر أن البطالمة سمحوا لليهود بتكوين جاليات قومية مثل غيرهم من العناصر الأجنبية، فقد كان الملك البطلمى يصدر مراسيم تنظيم قيام تلك الجماعات وتحديد عضويتها وحقوق أفرادها حتى نالت الصفة الشرعية التى تمكنها من مباشرة نشاطها وحياتها القومية. ومن أهم الحقوق التى حصل اليهود عليها كانت الحق فى أن يعيشوا طبقا لشرائعهم المتوارثة وقوانين آبائهم وبعبارة أخرى قوانين موسى أى أن التوراة كانت القانون الأساسى الذى التزمت به الجاليات اليهودية فى مصر[١٤].

ويشير المؤرخ "سترابون" بأنه كان على رأس الجالية اليهودية رئيس يباشر سلطات إدارية وقضائية واسعة كما يرجع بعض المؤرخين أن هذه الجالية كانت تضم مجلسا على غرار ماعرفته التنظيمات اليهودية فى أورشليم. فقد كانت هذه الجالية تباشر اختصاصات قضائية وادارية ومالية ودينية ومن حقها أن تتولى إدارة ممتلكاتها وهذا يعنى أنها اكتسبت الصفة القانونية وأن الدولة قد اعترفت بشخصيتها المعنوية، ويعنى هذا أن اليهود كانوا يتمتعون داخل جالياتهم تلك بقدر كبير من الحرية والاستقلال الذاتى فهل كانوا يطمعون بعد ذلك إلى أن تكون لهم حقوق المواطنة فى الإسكندرية[١٥].

أثار المؤرخ يوسفيا وفيلون[١٦] الجدل بين المؤرخين المحدثين عندما زعموا أن اليهود كانوا يتمتعون بحقوق الموطنة فى الإسكندرية، فقد أرادوا أن يثبتوا حق يهود عصرهم فى التمتع بحقوق المواطنة فى الإسكندرية لأنهم اكتسبوا هذا الحق منذ إنشاء الإسكندر هذه المدينة. ولذلك لجأوا إلى كل وسيلة ممكنة لاثبات أن اليهود كانوا مواطنين في الإسكندرية مثل الإغريق سواء بسواء. وهذا الزعم كان يستتبع إما أن يكون اليهود قد خرجوا عن دينهم أو أنهم على الأقل قبلوا أن يشركوا عبادة آلهة المدينة

---

[١٤] - عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص٦٧

[١٥] - בינין, ג'ואל, פזורת יהודי מצרים, רסלינג הוצאת ספרים, 2007, עמ' 28.

[١٦] - فيلون: بالعبرية פילון האלכסנדרוני، وهو فيلسوف يهودي سكندرى، عاش من سنة ٢٠ قبل الميلاد إلى ٥٠ بعد الميلاد. ولد فيلو في الإسكندرية لعائلة ثرية. ويقال إن شقيقه "فاق كل أهل مدينته في نسبه وثروته". اهتم فيلو بالفلسفة والعلوم الطبيعية منذ سن مبكرة، وكان مهتمًا بشكل خاص بالتوتر بينهم وبين مبادئ الديانة اليهودية، التي كان يؤمن بها. لقد بحث فيلو عن معنى الموت قبل ١٩٠٠ عام من الفلسفة الوجودية، وفسر التوراة وفقًا للمبادئ الفلسفية اليونانية قبل ١٢٠٠ عام من موسى بن ميمون، وتحدى الحكماء في أقوالهم العميقة عن الطبيعة البشرية، التي صاغها قبل ٢٥٠ سنة من صياغة المشنا. (للمزيد انظر: יוסף בן מתתיהו, קדמוניות היהודים, ספר 18, פרק ח', פסקה א', סעיפים 257-260.)

مع عبـادة يـهـوه. ونـحن نـشك فى أن الـيـهـود سـواء المتحرر منهم أو المتزمت. كانوا يقبلون التخلى بسهولة عن شريعتهم فى مقابل أن يصبحوا مواطنين فى المدينة، ومما يقوى هذا الشك أننا لم تعثر على أية وثيقة من العصر البطلمى ذكر فيها اسم يهودى من الإسكندرية مقرونا باسم حى من أحيائها[١٧].

ومن الطريف أن كاتب السفر الثالث من كتاب المكابيين ذكر أن بطليموس الرابع فيلومباتور عرض على اليهود أن يصبحوا مواطنين فى الإسكندرية بشرط قيامهم بعبادة الإله ديونيسوس ولكنهم رفضوا. فسلط عليهم نقمته وفتنهم فى دينهم وشاء الرب أن يرجع الملك إلى رشده فأذن لليهود أن يقتلوا كل يهودى استجاب للإغراء وصبأ عن دينه. لو كان الدين أمرا ثانويا بالنسبة لليهود ولم يروا بأسا فى التضحية به فى سبيل الحصول على مواطنة الإسكندرية لجأءت قصة اضطهادهم على نحو آخر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لو كان اليهود يتمتعون بحقوق المواطنة منذ عهد الإسكندر والبطالمة الأوائل لما كان فى عرض فيلوباتور ما يغريهم بترك دينهم. والواقع أن هذا العرض يدل على أنهم كانوا لا يتمتعون بهذه الحقوق وأنهم كانوا يتحرقون شوقا إلى الفوز بها. على أية حال لم يكن نيل حقوق المواطنة فى الإسكندرية يمثل أهمية كبيرة ليهود الإسكندرية فى العصر البطلمى بعكس الحال فى العصر الرومانى، حيث كانت هذه الحقوق هى السبيل الوحيد لرفع اليهود من الهوة التى انحدروا إليها نتيجة لخضوعهم لضريبة الرأس التى فرضت عليهم ووضعتهم فى نفس المرتبة مع المصريين وأبعدتهم عن الإغريق الذين كانوا فى نظرهم لا يفضلونهم فى شىء.

ومن الجدير بالذكر أن يهود الإسكندرية انتظموا مثل غيرهم من الإغريق غيرالمواطنين والأجانب فى جالية ولكنهم لم يرقوا إلى مرتبة المواطنين وسمحت الدولة لبعض جماعات منهم فى الريف بتشكيل جاليات من المرجح أنها لم ترق إلى مستوى جالية الإسكندرية لكن ليس من المستبعد أنها تمتعت بقدر من الحقوق والامتيازات، ثم يأتى فى المؤخرة اليهود المنتشرون بين جنبات الوادى فى إعداد قليلة وكانوا فى نفس الوضع الذى كان عليه المصريون[١٨].

كذلك تجدر الإشارة إلى اهتمام يهود الإسكندرية بنوع من الكتب اليهودية عرفت باسم أبو كروفا «apocrypha». وحرصوا على نقلها إلى اللغة الإغريقية، وكان واضعوها يهدفون إلى نقد الأوضاع الظالمة التى يعيش فيها اليهود، وإلى

---

[١٧]- בינין, ג'ואל, פזורת יהודי מצרים, רסלינג הוצאת ספרים, 2007, עמ' 28.

[١٨]- عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص٦٨.

إشاعة الأمل فى مستقبل أسعد. وقد كان اليهود يألفون هذا النوع من الأدب عندما كانت بابل وأشور تهددان بالقضاء عليهم قضاء مبرما، وما لبثوا أن عادوا إليه فى الشطر الثانى من حكم البطالمة كرد فعل للضغط الذى أحسوا به والكراهية التى احاطت بهم عندما أثاروا حقد إغريق الإسكندرية عليهم[١٩].

وخلاصة القول إن البرديات الأرامية قد أشارت إلى سماح البطالمة لهؤلاء اليهود بتشكيل جالية كانت تتمتع بقدر لا بأس به من الاستقلال المإلى والإدارى والفضائى وخصوصهم بالحى الرابع من أحياء المدينة، فمعنى ذلك أن اليهود كان فى إمكانهم مباشرة حياتهم الخاصة دون أى تدخل من جيرانهم أو أى إكراه من الدولة. وكان لديهم كل المقومات التى تمكنهم من إقامة مجتمع يهودى متماسك.

- **يهود الأسكدرية فى العصر الرومانى:**

أشار بعض المؤرخين إلى أن الإدارة الرومانية قد أدركت مبكرًا أنه يمكن استغلال الأزمة بين إغريق الإسكندرية واليهود لصالحها فعملت على بث الفرقة بينهم ليتسنى لها إخضاع الإسكندرية وكبح جماح الإغريق من مواطنيها الذين طالما تمردوا على الحكم البطلمى نفسه وأنها تمشيًا مع هذه السياسة آثرت اليهود بكثير من الحقوق والامتيازات فى حين أنها لم تعبأ بإجابة الإسكندريين إلى مطالبهم لتشعرهم بالمهانة مقابل المكانة الممتازة التى منحت لليهود[٢٠].

ويشير "بيكرمان" إلى أن الإمبراطور أوجستوس «Augustus» قد اعترف بمكانة الإسكندرية المتميزة، متبعا تقليدا رومانيا يجعل للمدن الإغريقية فى الشرق وضعا خاصا يميزها عن سائر المدن، وتمثل هذا الاتجاه فى إعفاء المواطنين فى المدينة من "ضريبة الرأس" كما سمح للسكندريين بتكوين مجلس للشيوخ ومزاولة حياتهم السياسية، أما بالنسبة لليهود، فقد أخضعهم جميعا لضريبة الرأس يؤدونها كاملة غير منقوصة، أقر الامتيازات التى اكتسبتها جالية اليهود فى الإسكندرية منذ عصر البطالمة، أقر حق اليهود فى تطبيق قوانينهم داخل جالياتهم ، و سمح لهم بتشكيل مجلس شيوخ[٢١] .

---

[19]- Mahaffy, Sir John Pentland the History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, Ipid, p. 194.

[20] - Kasher, Aryeh, The Jews in Hellenistic and Roman Egypt: The Struggle for Equal Rights, Mohr Siebeck, 1985 pp.107-8.

[٢١] - عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص ٧٣.

وعلى أى حال فإنه لم يحدث فى عصر أو جستوس أى شىء من شأنه أن يعكر على اليهود صفو حياتهم، وقد مركذلك عصر خلفه الإمبراطور تيبريوس بسلام رغم أن هذا الإمبراطور شن حملة اضطهاد عنيفة ضد اليهود فى روما. وفجأة فى صيف عام ٨٣م فى عهد الإمبراطور جايوس "كاليجولا" حدثت تلك الفتنة المروعة بين الإغريق واليهود وكانت موضوع عدة كتب وضعها فيلون الفيلسوف اليهودى الإسكندرى. وفى هذا المناخ المتوتر كما صوره فيلون وصل إلى الإسكندرية ذات ليلة من ليالى صيف عام ٨٣م "أجريبا" حفيد "هيرود الأكبر" وقد عرفه الإسكندريون من قبل يهوديا مفلسًا فر من الإسكندرية هربا من دائنيه. ولكن جايوس نصبه ملكا على مملكة صغيرة على حدود يهوذا وكان هذا الملك اليهودى على علم بمشاعر الإسكندريين نحوه، لذلك فإنه كان يريد الإبحار إلى فلسطين عن طريق بلاد الإغريق وسوريا لولا أن الإمبراطور أشار عليه بأن يسلك طريق الإسكندرية ولم يشأ أن يعارضه واحتاط للأمر بأن نزل المدينة ليلا واستخفى فى بيت مضيفه حتى يحين موعد استئناف رحلته إلى فلسطين ولكن ما أن شاع نبأ قدومه فى الأوساط اليهودية فى المدينة حتى اعتبرت مجيئه فى هذاالوقت بالذات دليل العناية الالهية إذ كانوا يعلمون مكانته لدى الإمبراطور فبسطوا أمامه قضيتهم وشكوا إليه موقف الحاكم الرومانى منهم وأقنعوه بأن يتجول فى المدينة محوطا بالحراس حتى يشعروا الإغريق والحاكم بما له من نفوذ وسلطان. بيد أن زعماء الإغريق لم يدعوا الفرصة تفلت من أيديهم فأوغروا صدر الحاكم على اليهود وأسروا إليه أن هذا الملك اليهودى تجاوز حدوده إذ أحاط نفسه بنفس المظاهر التى ينبغى أن ينفرد بها الحاكم دون غيره[٢٢].

ولم يتهور فلاكوس فيقدم علانية على التعرض للملك اليهودى بما يسيء إليه وأثر أن يبدى له بعض مظاهر الود حتى لا يجلب على نفسه غضب الإمبراطور، وفى نفس الوقت صمم الإسكندريون على السخرية من هذا الملك اليهودى المفلس صنيعة الإمبراطور فألبسوا أحد الحمقى تاجًا من ورق وطافوا به فى الشوارع. وامعانا فى السخرية به كانوا يهتفون "مارين.. مارين"، وهى كلمة سورية تعنى "الملك أو السيد". وكان الإسكندريون يدركون تمامًا أن أجريبا عميل المرابين فى مدينتهم لن ينسى سخريتهم منه وأنه سيبلغ الإمبراطور أمر تلك الإهانة التى لحقته وكانوا يعرفون أن "كاليجولا" يريد أن يحكم كملك هيلينتسى مؤله ينبغى على كافة رعاياه أن يعترفوا بألوهيته، وأن اليهود لا يمكن أن يعترفوا به ربًا؛ ولذلك عمد الإغريق إلى أيقونات تحمل

---

[٢٢]- المرجع السابق، ص ٧٤.

صور الإمبراطور فى المعابد اليهودية[٢٣].

وفى هذا كما يقول فيلون كان الإغريق دهاة بقدر ما كانوا أشرارا، فقد اتخذوا من الإمبراطور ستارا للتنكيل باليهود وقرنوا اسمه بجرمهم لعلمهم أن اليهود عندما يقاومون وضع مثل هذه الأيقونات فى معابدهم يعدون عصاة وخارجين على طاعة الإمبراطور. وقد قاوم اليهود فعلا هذا العمل دون استعمال أسلحة، لكن تبع ذلك حدوث أعمال العنف وحرق بعض دور عبادتهم وتدمير البعض الآخر[٢٤].

ويتهم فليون فلاوكوس بأنه لم يفعل شيئا لإيقاف الإغريق عند حدهمباليهود، ليه أنه تجاهل عدد اليهود الضخم فى مصر وفى الإسكندرية وأنه لم يفطن إلى خطورة وضع الأيقونات فى معابد اليهود إذ أن فى ذلك تحديا واضحا لليهود جميعا وانتهاكا لعاداتهم المتوارثة فكان لا يمكن أن يمر مثل هذا الحادث بسلام ولا سيما أنه إذا سرى خبر تلك الفتنة إلى خارج مصر فإن الشعوب الأخرى التى يقيم اليهود بين ظهرانيهم ستعمد بدورها إلى انزال أشد الضربات باليهود، ولم يكتف إغريق الإسكندرية بما فعلوه بل طلبوا إلى فلاكوس أن يحدد الوضع القانونى ليهود المدينة فأصدر قراره الذى أعلن فيه أنهم أجانب وغرباء عن المدينة. وبهذا القرار وجه فلاكوس ضربة قاضية إلى حقهم فى أن يكون أعضاء فى جالية وكانت هذه العضوية هى الضمان الوحيد لسلامتهم إذا ما تعرضوا لضروب النقمة والعذاب وزاد على ذلك بأن أمر بأن يعاقب اليهود بالطريقة التى كان يعاقب بها المصريون وليس على نحو ما كان يعاقب به إغريق الإسكندرية. وقد فسر إغريق الإسكندرية قراره بأن ليس لليهود الحق فى تجاوز الحي الذى كان مخصصا أصلا لإقامتهم فحشروا فى هذا الحي الذى ضاق بهم حتى التمسوا المأوى فى أكوام القمامة خارج المدينة أو على الساحل ودمر أكثر من أربعمائة مسكن من مساكن اليهود التى طردوا منها ونهبت متاجرهم وفتشت مساكنهم بحثا عن أسلحة وحرم على اليهود الخروج إلى الأسواق[٢٥].

---

[٢٣]- צ'ריקובר, אביגדור, אלף שנות היסטוריה יהודית במצרים: תולדות יהודי מצרים מכיבושה על ידי אלכסנדר מאקדון ועד כיבושה בידי הערבים, שם, עמ' ٧٧.

[24] - Mahaffy, Sir John Pentland the History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, Ipid, p. 198.

[25]- Mahaffy, Sir John Pentland the History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, Ipid, p. 198.

وقد استدعى فلاكوس زعماء اليهود للاجتماع به ويبدو أن هذاالاجتماع لم يسفر عن شيء غير أن بعض أعضاء مجلس الشيوخ اليهودى ارتكبوا أعمالا أوقعتهم تحت طائلة القانون واستحقوا العقاب فجلدوا علنا فى مسرح المدينة مما أدى إلى وفاة بعضهم وأصابة البعض الآخر بالأمراض. وبلغت الفتنة ذروتها يوم ١٣ من أغسطس وهو يوم عيد ميلاد الإمبراطور إذ اتسمت الأحداث بالعنف الذى بلغ حد الفوضى الشاملة واستمتع إغريق الإسكندرية وهم يشاهدون العذاب ينزل باليهود ألوانا[٢٦].

ويشير المؤرخ "فيلون" إلى أنه نتيجة لهذه الحوادث خسر اليهود محالهم، وأن توقفهم عن العمل كان أفدح من الخسائر التى لاحقتهم نتيجة لأعمال النهب التى قام بها إغريق الإسكندرية؛ إذ فقد أصحاب رؤوس الأموال مستودعاتهم وحرم كل شخص سواء أكان مزارعا أو من أصحاب السفن أو تاجرا أوصانعا من مباشرة عمله. ومن الجدير بالذكر أن طبقة أصحاب رؤوس الأموال تاتى فى المقدمة ويبدو أن أفراد تلك الطائفة لم يستثمروا أموالهم فى التجارة فحسب بل أيضا فى نواح شتى كان من ابرزها إقراضها مقابل فوائد للتجار أو لغيرهم على نحو ما فعل اسكندر ليسياخوس عندما أقرض الملك أجريبا الأول اليهودى. ولعل اشتغال اليهود بإقراض الأموال هو الذى أثار ضدهم ذلك الشعور بالكراهية المشوبة بالحذر الذى تلمسه فى ذلك التحذير الذى وجهه تأجر إغريقى إلى صديق له مقيم فى الإسكندرية سنة ٢٤٠ م حتى لا يتعامل مع اليهود ولعل المقصود هنا النص على تحذيره من التعامل مع المرابين اليهود. وقد لعبت الطائفة الثانية دورا مهما فى النشاط الاقتصادى فى الإسكندرية، وخاصة فى التجارة البحرية ونقل القمح إلى إيطاليا وكان القمح المصرى الرئيسية للإمبراطورية. وكان يقوم إلى جانب هؤلاء فى داخل البلاد طائفة من اليهود يعملون فى نقل القمح إلى الإسكندرية. أما الطائفة الثالثة تضم طائفة من الصناع. وقد سبق التحدث عن هذه الطائفة فى العصر البطلمى من واقع ما ذكره فيلون وما جاء فى التلمود عن صناع الإسكندرية وقد جاء فى التلمود أن جموع الصناع كانوا يجلسون فى البيعة حسب مهنهم مثل العاملين فى صناعة المعادن والصائغين والنساج والنجارين والحدادين، وأن أى يهودى يريد العمل فى مهنة معينة كان يتعين عليه الاتصال بالنقابات المهنية اليهودية[٢٧].

---

[٢٦] - عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص٧٦.

[٢٧]- בינין, ג'ואל, פזורת יהודי מצרים, רסלינג הוצאת ספרים, 2007, עמ' ٣٢.

ويدل اهتمام التلمود بهذه الطائفة من الصناع على أهمية الدور الذى لعبته فى الحياة الاجتماعية ليهود الإسكندرية ولم يكن فى استطاعة هذه الطائفة من الصناع الانضمام إلى النقابات المهنية العامة فى الإسكندرية وذلك لأن هذه النقابات كانت تقوم على أساس دينى ومن المرجح أن طائفة الصناع اليهود كانت تجمع بين العمل فى حرفة معينة وبين التجارة فى السلع التى كانوا يضعونها فى حوانيتهم. أما الطائفة الخامسة فأغلب الظن أنها كانت تتألف من المزارعين الذين كانوا يشتغلون بالفلاحة فى الريف المجاور للإسكندرية. وينقلون إلى العاصمة فى سفنهم الصغيرة منتجات أراضيهم. وقد ذكر فيلون أن الإغريق هاجموهم فأحرقوا سفنهم وأغرقوا سلعهم. وإلى جانب هذه الطوائف اليهودية كان يوجد كثير من الفقراء العاملين فى مهن متواضعة[٢٨].

ويبدو أن يهود الإسكندرية لم يخلدوا إلى السكينة. رغم أن الإمبراطور الجديد "كلاوديوس" قد أقر كافة الحقوق والامتيازات التى كانت لليهود قبل سنة ٨٣. فما لبثوا أن أيقظوا الفتنة من جديد بعد أن استقدموا يهودا من داخل مصر ومن سوريا. وقد تطلب ذلك تدخل القوات الرومانية فوضعت حدا لسفك الدماء وأعمال العنف، ومما يدل على عنف هذه الفتنة أن كلاوديوس استعمل كلمة "حرب" عند الحديث عنها فى رسالته المشهورة التى بعث بها إلى الإسكندرية وتدل مهاجمة اليهود لإغريق الإسكندرية على هذا النحو على أنهم لم ينتظروا النتائج التى قد تسفر عنها مقابلة وفدهم لجايوس قبل أن يلقى مصرعه فى منتصف فبراير سنة ٤١ م، بل أعدوا عدتهم للانتقام من إغريق الإسكندرية. لكن الحاكم الرومانى هذه المرة كان أكثر حزما من فلاكوس فلم يسمح للفتنة أن تستشرى على نحو ما حدث سنة ٨٣ م. وما أن هدأت الأحوال حتى بادر كل من الإغريق واليهود إلى إرسال وفد عنهم إلى روما وكان الهدف الظاهر للبعثتين تهنئة الإمبراطور بتوليته عرش الإمبراطورية ومحاولة التخلص من تبعة مسئولية الحوادث التى جرت مؤخرا فى الإسكندرية.

وبعد مضى نحو ثلاثة عشرة عاما على تلك الأحداث التى وقعت على عهد كلاوديوس انفجر الموقف مرة أخرى فى الإسكندرية فى عهد خلفه الإمبراطور "نيرون" وبيان ذلك أنه فى ٦١ من مايو سنة ٦٦ اندلع لهيب الثورة فى القدس، نتيجة الصراع بين الطبقات العليا التى انفقت

[٢٨] - عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص ٨٢.

مصالحها مع مصالح روما والطبقات الدنيا من اليهود فى يهودا وتطور الأمر إلى الثورة ضد روما نفسها وظهور عدة حركات ارهابية قامت بها جماعات متطرفة كان من أبرزها "عصبة الخنجر" وإزاء ذلك عدلت السلطات الرومان فى مصر عن الحملة التى كانت تعد العدة لارسالها إلى بلاد النوبة وبادرت بإرسال جميع الفرق الرومانية فى مصر إلى فلسطين فيما عدا الحامية العادية التى كان يعهد إليها بالمحافظة على الأمن فى العاصمة وفى أعقاب ذلك وقع الصدام بين اليهود الإغريق فى الإسكندرية ولعله كان انعكاسا للأحداث الجارية فى فلسطين[٢٩].

ومما يجدر بالملاحظة أن اليهود لم يتخلوا عن فكرة ظهور واحد منهم يحكم العالم أجمع، ومن المحتمل أن "شمعون بن جيورا" أحد زعماء ثورة ٦٦- ٧٠م، كان يعتبر نفسه ملكًا إذ كان يلبس ملابس الملوك عندما استسلم للرومان ولابد من أن لوكاس ملك يهود برقة كان واحدا من هذا النوع فقد كان يعتبر نفسه منقذ بنى جلدته من حكم الرومان. وقد كان يعمد إلى إثارة الحماس الدينى فى نفوس أتباعه ولذلك كان تدمير المعابد جزءا من حركته. وهكذا فكرة الخلاص هى التى أوحت إلى هذا الزعيم اليهودى بالقيام بهذه الثورة التى اختار لها وقتا مناسبا لكن تراجان كان موفقا فى حملته فى الشرق، ولو أحسن اليهود أعمال رأيهم لربما آثروا عدم القيام بالثورة على الإطلاق. ومع ذلك استمرت فكرة الخلاص تستهوى اليهود وتسيطر على عقولهم فسنرى مخلصا آخر يظهر فى عهد هادريان ويجر الويلات على بنى قومه. فاندفعوا وراءه مسلوبى الارادة إلى قبرص وإلى مصر يقتلون ويدمرون ويبطشون بالإغريق والرومان وأهل قبرص وأهل مصر لا يفرقون بين جنس وجنس ولعلهم بتدميرهم معابد الوثنيين كانوا ينتقمون لما لحق بهيكلهم من دمار على أيدى الرومان. ولم يكن عهد الإمبراطور "هادريان" بصفة عامة عهد خير وبركة لليهود فقد شهدت بدايته إخماد ثورتهم الكبرى. وصدر الأمر بإبطال عادة الختان عند اليهود ، وقرب نهايته قامت فى فلسطين سنة ٢٣١م ثورة عاتية تزعمها مخلص آخر هو "سيمون بار بن كوخفا" وذلك عندما أمر الإمبراطور بأن تشيد مستعمرة رومانية محل القدس، وأن يقام لجوبتير معبد محل الهيكل وقد بذل الإمبراطور مجهودا ضخما حتى استطاع إخماد الثورة سنة ٥٣١م وبعد ذلك حظر على اليهود أن تطأ أقدامهم الأرض االمحيطة بأورشليم (فيما عدا اليوم التاسع من شهر أغسطس) فى ذكرى ذلك اليوم الذى دمرت فيه أورشليم. وعلى كل حال لم نعد نسمع عن

[٢٩]- المرجع السابق، ص٨٣:٨٥.

اليهود كعنصر يتسبب وجوده فى إثارة الفتنة إلا فى عام ٥٢٤م حين قام كيرلس أسقف الإسكندرية على رأس جماعة من المسيحيين باحتلال جميع معابد اليهود وطردهم من المدينة[٣٠].

كانت خدمة اليهود فى الجيش البطلمى من أهم الأعمال التى أسهم بها اليهود فى خدمة الملك البطلمى وحكومته. لكن بعد دخول الرومان مصر آلت كل المسئوليات العسكرية إلى الجيش الرومانى، وسرح الجيش البطلمى بكافة تشكيلاته. ولكن يرى المؤرخ اليهودى يوسف أن اليهود خدموا فى الجيش وأن الحكومة الرومانية سمحت لليهود بالاستمرار فى عملهم فى حراسة النهر وبأنه لم يكن فى وسع أغسطس تسريح الجند اليهود نظرا لضخامة عددهم ولأن الكثيرين منهم كانوا من أرباب الإقطاعات العسكرية ، ولو أنه أقدم على ذلك فعلا لوقعت اضطرابات كثيرة فى البلاد وفى رأيه أن اليهود استمروا فى خدمة الجيش الرومانى حتى استبعدهم الإمبراطور تراجان ثم الإمبراطور هادريان بعد ثورتهم الكبرى ٥١١- ٧١١م. لكنهم - فى رأيه- ما لبثوا أن عادوا إلى الخدمة العسكرية فى مستهل القرن الثالث الميلادى ودليله على ذلك قائمة بأسماء جند رومان كانوا يعسكرون فى "البهنسا" ويحمل بعضهم أسماء سامية عادية، ويقطع بأن أحدهم وهو "باريخيوس" كان يهوديًا[٣١].

وعلى النقيض ينفى "تشيريكوفر" نفيا باتا أن اليهود كانوا يخدمون فى الجيش الرومانى وأن عمل اليهود فى حراسة النهر لم يكن عملا عسكريا وأن يوسف وهو يتحدث عن يهود الإسكندرية لم يخطر بباله مهام الحامية اليهودية التى كانت مكلفة بأعمال الحراسة والدفاع عن الفرع البلوزى فى أواخر عصر البطالمة، وإنما كان يدور بخلده خدمة اليهود فى أعمال الحراسة فى النيل وأن عمل اليهود كان مقصورا على جباية المكوس الجمركية ويرجح أن الحكومة الرومانية عهدت بهذه المهمة إلى الموظف المعروف باسم مدير الضرائب الجمركية ، وهذا الموظف كان مختصا بجباية المكوس الجمركية على السلع الشرقية القادمة من موانى البحر الأحمر إلى موانى البحر الابيض مارة بالصحراء الشرقية فقط. وكذلك كانم هذا الموظف فى الوقت نفسه هو اثنارخيس اليهود فى الإسكندرية ويرى أن هذا الفرض تفسير للطريقة التى أبرز بها يوسف أهمية قيام اليهود بهذا العمل.

---

[30]- Mahaffy, Sir John Pentland the History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, Ipid, p. 202.

[31]- Ipid.

ومن الجدير بالذكر إذا كان اليهود قد باشروا نشاطا ملحوظا فى خدمة الحكومة البطلمية وكان منهم بعض كبار الموظفين وكثير من ملتزمى الضرائب وجباتها فقد باشروا نشاطا مماثلا فى خدمة الحكومة الرومانية.

وكان بين وظائف الإدارة المالية التى شغلها اليهود وظيفة مدير الضرائب الجمركية، فذكر المؤرخ اليهودى "يوسف" اثنين من أبرز شخصيات الجالية اليهودية بالإسكندرية ممن شغلوا هذه الوظيفة. وقد كان كل منهما فى الوقت نفسه يشغل وظيفة اثنارخيس للجالية اليهودية السكندرية. وهو والد شخصيتين مهمتين هما تيبريوس يوليوس الإسكندر اليهودى الصابئ حاكم مصر من قبل الرومان، والآخر هوماركوس أحد كبار رجال الأعمال اليهود فى الإسكندرية. وفيما عدا وظيفة مدير الضرائب الجمركية لا نعثر فى مصادرنا على شواهد تشير إلى أن بعض اليهود شغلوا مناصب حكومية كبيرة أخرى ولا نستطيع أن نقيس على حالة تيبريوس يوليوس إسكندر الذى شغل عدة مناصب مهمة فى الجيش والإدارة حتى وصل إلى منصب الحاكم العام لمصر وذلك لأنه كان يهوديا صابئا، ولولا ذلك لما تأتى له الفوز بهذه المكانة السامية[٣٢].

أما من جانب التنظيم الطائفي والقضائى للجالية اليهودية في الإسكندرية في ذلك العصر، فإن الإمبراطور "أوجستوس" قد أقر ليهود الإسكندرية بكافة الامتيازات والحقوق التى اكتسبوها فى عصر البطالمة. ويحدثنا "استرابون" الذى زار الإسكندرية على عهد أوجستوس، عن الطائفة اليهودية وتنظيمها الداخلى فيقول: إنه كان على رأسها الاثنارخيس كان يحكم الشعب اليهودى ويباشر اختصاصات قضائية وإدارية واسعة[٣٣].

ويمدنا كل من فيلون ويوسف ببعض المعلومات المهمة عن التنظيم الداخلى للجالية اليهودية فى الإسكندرية غير تلك التى نستمدها من استرابون، فيروى فيلون أنه فى عهد الحاكم الرومانى أكويلا فى عام ١١م. توفى رئيس الجالية وكان يطلق عليه اسم جنارخيس فبعث أغسطس بتعليماته إلى ماجيوس ماكسيميوس الحاكم الرومانى الجديد بأن يقيم لليهود مجلسا للمسنين أو الشيوخ ويضيف يوسفيا إلى ذلك أن كلاوديوس أرسل خطابا إلى حاكم مصر فى عام ٢٤ م ذكر فيه أن لم يمع اليهود من أن يكون لهم اثنارخيس بعد وفاة الاثنارخيس السابق على عهد

---

[٣٢]- כשר, אריה, יהודי מצרים ההלניסטית והרומית במאבקם על זכויותיהם, שם, עמ' 32..

[33] - Kasher, Aryeh, The Jews in Hellenistic and Roman Egypt: The Struggle for Equal Rights, Ipid, p. 109.

اكويلا ويذكر يوسفيا أيضا أن مجلس الشيوخ اليهودى ظل قائما حتى عصره "أى فى عصر فسباسيان" وأنه كان على رأس الجالية جماعة من الرؤساء عرفوا باسم رؤساء الشيوخ[٣٤].

أما عن مجلس الشيوخ فإنه لم ترد فى مصادرنا معلومات تفصيلية عن عدد أعضائه، لكننا نرجح أنهم كانوا واحدا وسبعين عضوا وذلك قياسا على عدد أعضاء المجلس فى فلسطين. وإلى جانب الاثنارخيس مجلس الشيوخ كان يوجد عدد من الأراخنة أو الحكام كانوا يشغلون بعض المناصب الخاصة كما كانت توجد أيضا طائفة من الرؤساء كانوا يعرفون باسم آراخنة السيناجوج. وقد كشفت إحدى الوثائق البردية عن وجود دار لحفظ السجلات والوثائق الخاصة باليهود كانت تعرف باسم دار أرشيف اليهود.

وقد كانت الجالية اليهودية تتمتع بكثير من مظاهر الحكم الذاتى وأنها بلغت قدرًا كبيرًا من التنظيم وأفادت بشكل واضح من الامتيازات التى منحت لها فى العصر البطلمى. وعندما جاء العصر الرومانى ازدادت تماسكا وتنظيما وأفادت من اعتراف القانون الرومانى بقيام هذا النوع من الجاليات أو الاتحادات وسمح لها بعقد الاجتماعات الخاصة بأفرادها فضلا عن أنه كفل للجالية الحرية والحماية ورفع الشكاوى إلى الإمبراطور دفعا لظلم أو التماسا لمنفعة. وقد اعتبرت الإدارة الرومانية الدين مسألة خاصة لمعتقدية لا تتدخل فى الشئون المتصلة به وذلك تحقيقا لمبدأ التسامح الدينى الذين درجت عليه الإمبراطورية الرومانية[٣٥].

وهكذا نرى أن الطائفة التى شكلها اليهود فى الإسكندرية فى العصر البطلمى استمرت قائمة كذلك فى العصر الرومانى، مستمدة كيانها من استمساكها بدينها ووفرة عددها ونشاطها الاقتصادى. وقد كان فى استطاعة هذه الطائفة أن تظل بمنأى عن تدخل السلطات الرومانية إذا ما راعت الحدود التى ينبغى أن تقف عندها وإذا كان اليهود فى العصر البطلمى قد قنعوا بالحقوق والامتيازات التى ترتبت على عضويتهم لهذه الجالية دون أن يفوزوا بحقوق المواطنة فى الإسكندرية.

---

[34] - Kasher, Aryeh, The Jews in Hellenistic and Roman Egypt: The Struggle for Equal Rights, Ipid, p. 110.

[٣٥]- عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص٨١:٨٣.

- **يهود الإسكندرية بعد الفتح العربى:**

عقب الفتح الاسلامى لمصر وبعد دخول العرب مصر عام ٦٤٢ ميلاديا بجيش عمرو بن العاص، تم فرض الجزية على غير المسلمين ومنهم اليهود مقابل ضمان حمايتهم، وكان كل من اليهود الربانيين والقرائين يعيشون ضمن الجالية اليهودية في مصر[٣٦]. وقد ازدادت الهجرات اليهودية إليها نتيجة تحسن أوضاعهم الاجتماعية فقد صار اليهود "أهل ذمة" بعد أن كانوا أقلية منبوذة تحت الحكم البيزنطى. وفي خلال القرون الثلاثة التى أعقبت الفتح الإسلامى توافدت هجرات يهودية متعددة من شرق العالم الإسلامى لتستقر فى منطقة حوض البحر المتوسط، واستوطن معظمهم مصر، فجو الحرية والتسامح الذى أتاحته دار الإسلام على رحابتها، وفر لليهود فرصا هائلة لم يسبق لها مثيل للمشاركة فى النشاط الاقتصادى المزدهر فى العالم الإسلامى

وتشير المصادرالتاريخية إلى أن يهود مصر لم يعيشوا فى جيتو مثلما كان حال أقرانهم فى أوروبا الكاثوليكية طوال العصور الوسطى، فالمجتمع المصرى الإسلامى لم يعزلهم باعتبارهم أقلية منبوذة، ومارس يهود مصر أنماطا متعددة فى مجالات النشاط التجارى والإدارى وفى التعليم والطب والمال والمهن الحرفية، باختصار شديد مارس يهود مصرالإسلامية نشاطهم بدءا من الوزارة حتى أصغر المهن التى عرفها المجتمع المصرى[٣٧].

وفي عام ٩٦٩ ميلاديا غزا الفاطميون مصر، وتحسنت أحوال اليهود خلال فترة حكمهم التى استمرت حتى عام ١١٧١ ميلاديا، وتولى اليهود خلال هذه الفترة مناصب عليا وزراء وقضاة. ويقدر عدد اليهود في مصر في القرن الثانى عشر بحوإلى ٢٥ ألف يهودى معظمهم في مدينة الفسطاط "القاهرة" وكانوا يتحدثون العربية، ومارسوا مهنة الطب وصبغ النسيج والتجارة[٣٨] .

ومن سلطات ومناصب الجالية اليهودية في مصر التى سمحت بيها السلطة الأسلامية، سلطة "البيشيفا" ومنصب "الناجد"، فالفاطميين سرعان ما استحدثوا فى مصر سلطة مركزية مستقلة على اليهود، وهى منصب "الناجد"، فالفاطميين كانوا متلهفين على استحداث مؤسسة مستقلة لزعامة يهود مصر، وذلك بغية إبطال ولاء هؤلاء اليهود لرأس الجالوت الذى كان يعينه خصومهم العباسيون فى بغداد. إلا أن هذا التفسير للحقائق التاريخية لم يعد ممكنا كما يشير البروفيسور "مارك كوهن" وذلك لأننا لم نعثر بين العدد الهائل من

---

[٣٦] - محمد ابو الغار، يهود مصر في القرن العشرين: كيف عاشوا ولماذا خرجوا؟، مرجع سابق، ص٧.

[٣٧]-. בת יאור, יהודי מצרים, רמת גן: הוצאת ספרית מעריב והקונגרס היהודי העולמי, 1974, עמ' 86.

[٣٨] - محمد ابو الغار، يهود مصر في القرن العشرين: كيف عاشوا ولماذا خرجوا؟، مرجع سابق ،ص 7.

وثائق الجنيزةالخاصة بمطلع الحكم الفاطمى على شهادة واحدة تشير إلى وجود "الناجد" فى مصر، أو قيام أى منصب رفيع آخر عهد إليه بالسلطة العليا لإدارة اليهود فى العصر الفاطمى، بل إن وثائق الجنيزة تثبت، أن الفاطميين فى أول عهدهم قد اعترفوا برئيس المعهد الدينى فى فلسطين رئيسا على يهود دولتهم.

بل أن متطلبات الإدارة فى الدولة الفاطمية قد أسهمت بدورها فيما يبدو، فى رفع شأن رئيس المعهد الفلسطينى. فقد تطلع الخليفة الفاطمى، بعد قيام دولته المستقلة فى مصر وفلسطين إلى ممارسة صلاحيات الخليفة، بما فيها العادة التى جرى عليها العباسيون فى تنصيب شخصيات مرموقة من غير المسلميين ومن ذوى النفوذ على طوائفهم ومعابدهم وكان من الطبيعى أن يقع اختيار الخليفة عند بحثه فى نطاق دولته عن سلطة تماثل سلطة رؤساء المعاهد ورأس الجالوت ببغداد على رئيس معهد أورشليم بالذات، ولما كانت صلاحية إقامة المحاكم الدينية، وتعيين القضاة الشرعيين ذوى السلطة القانونية على معظم النواحى الداخلية للطائفة، هى العنصر الأساسى فى الحكم الذاتى الذى منحه الإسلام لغير المسلميين ، فقد كان انتخاب رئيس معهد أورشليم لهذا الغرض طبيعيا وضروريا فى آن معا. لقد كان من حقه وحده تعيين القضاة الشرعيين كما كان ممثلا للسلطة القضائية العليا فى الطائفة اليهودية، وبناء على ذلك قام الفاطميون، بعد دخولهم مصر بفترة وجيزة بتعيين رئيس معهد أورشليم رئيسا على اليهود فى الدولة الفاطمية[٣٩].

ورغم دور الفاطميين الكبير فى تحديد شخصية الرجل الذى تزعم اليهود فى دولتهم، فإن تحديد مضمون هذه الزعامة كان يتم إلى حد بعيد من قبل العناصر اليهودية الداخلية وليس من قبل الفاطميين، فقد أكد مرسوم تعيين الجاءون "رئيس المعهد" على حقوق تأصلت فى تقاليد الطائفة اليهودية، فقد أسندت إليه السلطة الدينية العليا وحق تفسير التوراة فى الخطبة الدينية، كما كان رئيس المعهد هو المشرف على شؤون الزواج والطلاق، وعلى سلوك اليهود الدينى والأخلاقى بما فى ذلك تصرفاتهم إزاء المسلمين ومن حقه أيضا فرض الحرمان "الحيرم" وتعيين أو إقالة الخطباء الدينيين وتحديد صلاحيات القضاة الشرعيين ومراقبة أعمالهم[٤٠].

---

[٣٩]-. שלמה דב גויטיין, חברה ים תיכונית, מאנגלית: איה ברויר, עריכת תרגום: דליה טסלר. עריכה אקדמית: מירי שפר. תל אביב: ידיעות אחרונות, 2005, עמ' 37.

[٤٠] - רים פרנקל, "האוהבים והנדיבים" : עילית מנהיגה בקרב יהודי אלכסנדריה בימי הביניים, מכון בן צבי, 2006, עמ' 52.

ومن هذان الحاخامان "الحنان بن شمريا " الذى فاق أباه فى إمعانه بتحدى رؤساء المعهد، فقد مارس إلقاء الخطبة فى الجماعة، وكانت من حق رئيس المعهد فقط، بل أنه عين له معيدا ينقل أقواله إلى المجتمعين وفرض "الحرمان" الدينى، وجمع التبرعات من طوائف فلسطين بالشام للمدراس التى انشأها أبوه بالفسطاط ، كما أنه تمكن أيضا من الحصول على هبة مالية من الخليفة الفاطمية لهذه المدراس، ويستدل من إحدى الرسائل فى جنيزة القاهرة على أن الحنان هذا كان ينوى المطالبة بمرسوم فاطمى يخوله السلطة على يهود مصر، وذلك فور اعتلاء الخليفة الظاهر كرسى الحكم فى فبراير ١٢٠١م. وإزاء هذه التحديات السافرة لصلاحيات رئيس المعهد قام المعهد الفلسطينى بمعاقبة الحنان بانتزاعه منه لقب "رئيس محكمة شريعة" الذى كان يحمله أبوه ، كما ألقت عليه الحرمان أيضا[٤١].

فى هذا الوقت بالذات حدثت فى مصر تطورات داخلية، خلقت الظروف المواتية لاستبدال رئيس المعهد الفلسطنى بأحد الزعماء المحليين من يهود مصر، رئيس على يهود الدولة الفاطمية، فقد شرع الوزير بدر الجمالى، وكان حاكم الدولة الفاطمية الفعلى فى السنوات ١٠٤٦-١٠٤٩م، باتباع سياسة جديدة ألزمت الأقباط بنقل مقر بطريركيتهم الدائم من الإسكندرية إلى القاهرة وذلك بغية حماية المصالح الفاطمية فى النوبة والحبشة اللتين اعتقدتا بوحدانية طبيعة المسيح وتبعتا فى الوقت ذاته الكنيسة القبطية فى مصر، ويبدو أن تركيز السلطتين الدينية والعلمانية للأقباط فى القاهرة أدى إلى إحداث تطور مماثل لدى اليهود أيضا، وذلك بقيام سلطة يهودية مقرها القاهرة ، فى الثلث الأخير من القرن الحادى عشر[٤٢].

ورغم أن العوامل الخارجية كان لها أثر كبير فى هذا التطور، فإن الدور الحاسم فى هذا الأمر كان من نصيب زعيم الطائفة اليهودى فى العاصمة المصرية.

لقد كانت أخطر المهام التى انتزعها رئيس اليهود من رئيس المعهد هى تعيين وكلاء محليين لإدارة شئون الطائفة على المستوى المحلى، وهذا الطائفة المحلية، كانت الخلية الأساسية فى الحياة اليهودية المنظمة فى خلال هذه الفترة. فالمؤرخون الذين درسوا حياة الطائفة اليهودية فى القرون الوسطى أشاروا إلى بلاد أوروبا الشمالية، أو الطوائف الإشكنازية، باعتبارها المكان الأول الذى قامت فيه طائفة يهودية

---

[٤١]- שם,עמ׳53.

[42] -Marc R. Cohen, Jewish Self-Government in Medieval Egypt, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1980, p. 62.

منظمة ومستقلة، وقد كان ذلك، وفقا للرأى الشائع، فى القرن الحادى عشر تقريبا[٤٣].

وفى نفس الفترة التى ظهرت فيها الكوميونات المسيحية على شكل وحدات سياسية منفصلة منحها رجال الإقطاع أو الملوك وثيقة الحكم الذاتى وبناء على ذلك تجرى المقارنة بين التنظيم اليهودى المحلى والتنظيم المحلى المسيحى، فتنسب بذلك للطوائف اليهودية المحلية كثير من الخواص النقابية التى اتصفت بها الكومينونة المسيحية فى القرون الوسطى بأوروبا[٤٤].

أما حياة الطوائف اليهودية فى الشرق الإسلامى فقد قيل عنها أنها مفككة وغير مستقرة، وقد جرى التأكيد بشكل خاص على طابع المركزية والهيروقراطية عند الطوائف اليهودية فى الدولة الإسلامية، حيث حال رئيس المعهد أو الناجد دون قيام طائفة مستقلة ومنظمة بشكل ديمقراطى.

ومن الجدير بالذكر أن مجلس شيوخ اليهود فى مصر كانوا نواة من الموظفين المدنيين، الذين يتمثل عملهم فى مساعدة المسئولين عن مجالات معينة فى حياة الطائفة.

وقد أشارت بعض الوثائق والمراجع التاريخية إلى المهام المتنوعة الواسعة التى مارسها زعماء الطائفة المحلية بأنفسهم. فالزعيم الخبير بأمور الدين كان يحمل لقب "الحبر" من االمعهد الأورشليمى وكان يعالج القضايا الإدارية والدينية كلها، مثل إصدار الأحكام، وتطبيق الفرائض اليهودية، ومراقبة سلوك أبناء الطائفة، والخدمات. ومن ناحية أخرى فإن رؤساء الطوائف فى القرى الصغيرة كانوا فى الغالب أقل الماما بالشريعة من زعماء المراكز الكبيرة كالفسطاط، ولذا فقد كان لوظيفة "الشيوخ" أهمية كبيرة فى تلك الأمكنة النائية ولا سيما فى إصدار الأحكام. وقد طرأ فى خلال هذه الفترة تغيير ملموس على مصطلح وتنظيم الزعامة اليهودية المحلية فى مصر، فقد جرت العادة حتى الثلث الأخير من القرن الحادى عشر، وكان رئيس معهد أورشليم مازال يتمتع باعتراف الحكومة الرسمى كرئيس لليهود فى الدولة الفاطمية، أن يعين رئيس المعهد بنفسه رؤساء الطائفة المحليين فى مصر[٤٥].

وحين أدت تقلبات الدهر فى الثلث الأخير من القرن الحادى عشر إلى تفكك المعهد الأورشليمى، وتبلور منصب جديد لرئيس اليهود فى الوقت ذاته،

---

[43]- Marc R. Cohen, Jewish Self-Government in Medieval Egypt, Ipid' p. 63.

[٤٤] - רים פרנקל, "האוהבים והנדיבים": עילית מנהיגה בקרב יהודי אלכסנדריה בימי הביניים, מכון בן צבי, 2006, עמ' 55.

[٤٥]- שלמה דב גויטיין, חברה ים תיכונית, מאנגלית: איה ברויר, שם, עמ' 37.

فإن تغييرا دقيقا طرأ على المصطلح الدال على الزعامة المحلية. وكانت المحاكم الشرعية بالطبع هى العمود الفقرى فى حياة الطائفة المحلية فى مصر، ففى مجتمع تكاد تتلاشى فيه الحدود تماما بين الدين والسياسة، ويحكمه مبدأ القانون الشخصى لا الإقليمى، اكتسب القانون الدينى اليهودى والقبطى أيضا صلاحية شاملة، مما جعل القاضى الشرعى شخصية ذات شأن كبير فى إطار الحكم الذاتى إلا أن هذه المؤسسة المسؤولة عن التفسير اليومى للشريعة اليهودية وتطبيقها كانت مرنة بعيدة عن الصرامة شأنها فى ذلك شأن المؤسسات الأخرى للطائفة المحلية[٤٦].

وقد مرت مصطلحات التنظيم القضائى ومضمونها بتغييرات طفيفة، ولكنها بالغة الأهمية، وذلك مع ظهور منصب رئيس اليهود كسلطة مركزية عليا بين يهود الدولة الفاطمية فى أواخر القرن الحادى عشر. ففى الفترة الأولى من تولى مبارك بن سعديا منصب رئيس اليهود حوالى ١٠٧٨- ١٠٨٢ م، قام بتعيين القضاة فى مدينة الإسكندرية مبتدئا بذلك مرحلة أدت فى نهايتها إلى ضعضعة السلطة القضائية لرئيس المعهد الفلسطينى ، وواصل "هاود بن دانيال" خليفة مبارك الذى لقبه رؤساء المعهد الأورشليمى بـ "مغتصب السلطة" نقل السلطة القضائية العليا من الشام إلى مصر، فأنشأ أول محكمة شرعية عليا فى عاصمة مصر الفاطمية، بينما كان هذا الاسم مقصورا على المحكمة الشرعية العليا التابعة للمعهد أو لرئيس الجالوت، وقد مارست هذه المحكمة العليا التى أنشأها داود صلاحيات المعهد فى تعيين المندوبين للمحاكم الأخرى[٤٧].

ورغم أن المحاكم اليهودية وقضاتها كانوا فى غاية الصرامة، إلا أن سلطتهم القضائية على الطائفة اليهودية لم تكن مطلقة فرغم حظر الشريعة قديما على اليهود اللجوء إلى محاكم غير يهودية، فقد عمدوا فى مصر كثيرا إلى التقدم بشكاواهم إلى المحاكم الإسلامية أو اليهودية دونما فرق، وذلك لتنفيذ العقود التجارية، لقد اعترفت الشريعة اليهودية بصلاحية أنواع كثيرة من الصكوك الموقعة فى محاكم غير يهودية، مما حدا باليهود إلى استغلال هذا الترخيص وإلى الاستعانة بالسلطة غير اليهودية فى تنفيذ الالتزامات القانونية، وفى الأحوال التى كان فيها القانون الأسمى أجدى من الشريعة اليهودية للمصلحة الاقتصادية،

---

[٤٦]-عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص١٠٧

[47] - Elinoar Bareket, Fustat on the Nile: The Jewish Elite in Medieval Egypt, Leiden: Brill, 1999, p. 63.

كاتفاق المضاربة على سبيل المثال، فإن الأمر لم يكن مقصورا على الازدواجية فقط ، وإنما تسربت الأعراف الإسلامية أيضا إلى المستندات التى صيغت فى المحاكم اليهودية، ولكن القضاة المسلمين من جهتهم كانوا يراعون نظراءهم من القضاء اليهود ، ويمتنعون عن البت فى قضايا حساسة دينيا مثل قوانين الأحوال الشخصية[٤٨].

وكان المشرف المباشر على الكنيس أو المعبد هو "الشماس"، وقد كان له نفوذ كبير نظرا لمركزه المهم كمشرف على أهم مبنى عمومى لدى أبناء الطائفة ويعمل أحيانا مساعدا للمحكمة، فيقوم باستدعاء المتقاضين وتسجيل أقوال الأطراف المتنازعة، وتسليم أوراق الطلاق وغيرها.

ومن الجدير بالذكر ايضا أن الطوائف اليهودية مارست فى خلال القرون الوسطى، النشاط السياسى وفى الجنيزة شواهد كثيرة على ذلك فيما يتعلق بيهود مصر وبلدان البحر المتوسط الأخرى ومن مميزات هذا النشاط البارزة كانت النزعة إلى الانقسام. وهى تمثل ظاهرة اجتماعية شائعة بين اليهود، فقد كان للنزاع على الزعامة دور واضح فى حياة الطائفة. إذ انعكس سخط الجماهير على المسئولين عادة فى مقاطعة الذهاب إلى المعابد، حيث كانت تدار شئون الجمهور بإشراف الزعامة المحلية. ومن أشهر الشخصيات السياسية في ذلك العصر، ويذكر اسمه دائما كأول وزير للأسرة الفاطمية فى مصروهو أبوالفرج يعقوب بن يوسف بن كلس. وسيرتبط النجاح فى الإصلاح المالى والإدارة المالية بشكل عام فى تاريخ مصر دوما باسم يعقوب بن كلس، الرجل اليهودى الذي نال شهرة واسعة ثم أسلم، فهو الذي قام بتنظيم الإدارة فى عدة دواوين وأنشأ مؤسسة الخزائن، كما أنه هو الذى أرسى قواعد إدارة مالية سليمة وفعالة، تمكن عليها خلفاء المعز من تكوين الآراء فى ضوء نجاحاته[٤٩].

أما بالنسبة للنشاط الثقافى لليهود فى مصر فى خلال هذه الفترة كان محكوما بحقيقة تاريخية مهمة، تمثلت فى ذوبانهم فى محيط الثقافة العربية الإسلامية الواسع، فقد أدى النشاط الثقافى الهائل الذى شهدته فترة صعود الحضارة العربية الإسلامية إلى تخلى اليهود فى بلدان العالم العربى- ومصر من بينها بطبيعة الحال- عن اللغة الآرامية واللغة العبرية، واتخاذهم اللغة العربية لغة للكتابة والإنتاج الأدبى وهو ما جعل يهود

---

[48] - Elinoar Bareket, Fustat on the Nile: The Jewish Elite in Medieval Egypt, Ipid, p. 63.

[٤٩]- שלמה דב גויטיין, חברה ים תיכונית, מאנגלית: איה ברויר, שם, עמ' ٤١.

البلاد العربية يسلكون بالضرورة دوربا جديدة فتحت آفاقها الحياة الثقافية فى مصر وغيرها. وفى مصر استخدم اليهود لغتين إحداهما العربية والأخرى العبرية، والواضح أن اللغة العربية كانت هى لغة الحياة اليومية، لأنه لم يحدث منذ القرون المسيحية الأولى أن كانت اللغة العبرية لغة محكية ولذا ظلت اللغة العبرية مرتبطة إلى حد كبير بالتراث الدينى لدى اليهود بيد أنه من المهم أن نلاحظ أن كثيرا من الكتابات الدينية للأحبار والعلماء اليهود فى مصر كتبت باللغة العربية.

ثم احتل المماليك مصر وساءت معاملة اليهود وضعفت الجالية اليهودية، ونقص عددها إلى أن أصبح حوالي ٥٠٠ يهودى فقط. ولكن " البير ارييه يشكك في هذا الرقم، ويعتقد أنه أكبر من ذلك، كما شهد عصر سلاطين المماليك، توافد المهاجرين اليهود الأسبان الذين طردوا عام ١٤٩٢ بمساعدة اليهود المحليين، وانصهروا جميعا في مجموعة واحدة وكان بينهم الأطباء والحاخامات وعدد من الوجهاء الاثرياء، وتلاقت عاداتهم وطقوسهم مع تقاليد إخوانهم فى الدين فى تأثير متبادل، واقتضي الأمر أحيانا اتباع تعاليمهم. وعند الغزو العثمانى عام ١٥١٧ بدأ حجم الجالية اليهودية يرتفع وبدأت علاقاتهم مع أوروبا عبر البحر المتوسط تزيد، وزاد تنظيم الجالية وتوطدت علاقتهم مع الحكام[٥٠].

كان أيضًا من أبرز سمات العصر العثمانى توافد كبار العلماء اليهود الأسبان منهم: "رابى دافيد بن سلمون بن أبى زيمرا" والذى أصبح الحاخام الأكبر لطائفة القاهرة و "إبراهام دى كاسترو" الذي رأس مصلحة النقود، كما تولى اليهود مناصب المسئولية المالية وتحصيل الضرائب، واحتكروا مجال الصيارفة الرسمية وتولت إستانبول مهمة تعيين الحاخام الأكبر. والخلاصة هى إن الطائفة اليهودية فى مصر عاشت عصرًا مزدهرًا ومستقرًا فى ظل الحكم الإسلامى[٥١].

[٥٠] - محمد ابو الغار، يهود مصر في القرن العشرين: كيف عاشوا ولماذا خرجوا؟، مرجع سابق، ص ٧.
[٥١] - عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص ١٢٥.

- **يهود الإسكندرية في العصر الحديث:**

في العصر الحديث خلال القرنين السابع والثامن عشر تدهورت أحوال مصر وانتشرت الفوضى، وتدهورت معها احوال الجالية اليهودية. وبدأت نهضة جديدة بعد عام ١٨٠٥ مع تولي محمد على حكم مصر حيث ازدهر اليهود مرة أخرى، فقد لعب اليهود دوراً مهماً في تاريخ مصر الحديثة، إذ تبوأ أفراد الجالية اليهودية مناصب مهمة منذ عهد محمد علي، وأبرزهم يعقوب مؤسس عائلة قطاوي، الذي تولى منصب رئيس الصرافين وجامعي الضرائب خلال الفترة الأولى لحكم محمد علي[٥٢].

لقد عاش اليهود في عام ١٨٩٧، كجالية قليلة العدد، ويقدرعددهم بنحو تسعة آلاف نسمة، تركزوا بصفة اساسية فى الحي اليهودى بالقرب من سوق السمك القديم وفى أحياء المنشية والعطارين ومحرم بك. وفى عام ١٩١٧ م، طرأت زيادة ملحوظة فى أعداد اليهود التى وصلت إلى سبعة عشر ألفا، كما تزايدت مناطق تجمعهم فشملت: أحياء أبو شوشة والمنشية وباب شرق والمسلة وسوق الأتراك واللبان.

وحتى العقد الثالث من القرن العشرين لوحظ زيادة تمركز اليهود فى المناطق الواقعة على امتداد شاطئ البحر، خاصة الرمل والحضرة وسيدى بشر، واتسم تعداد يهود الإسكندرية بالاستقرار بتلك الزيادة السريعة التى طرأت على مسلمى المدينة[٥٣].

وفى إطار مشروع "محمد على باشا" للنهوض بمصر، تحولت الإسكندرية فى عصره إلى محور مهم للتنمية الاقتصادية، وشهدت تلك الفترة تزايد الهجرات اليهودية، ونمو الطائفتين الايطالية واليونانية، وكان من بين معالم الحداثة التى شهدها مجتمع الإسكندرية، إزدياد المتاجر الدولية والفنادق والمطاعم والملاهى والمسارح والمعابد والكنائس...! ومنذ بدايات القرن التاسع عشر الميلادى، بدأت أعداد غفيرة من يهود الأمبراطورية العثمانية ومن اليونان والبلقان بسبب المضاربة التجارية، واستقر هؤلاء في القاهرة وبعض مدن الدلتا مثل طنطا، وكذلك استقر بعض اليهود في الإسكندرية، فعاشوا في بعض الأحياء المخصصة لهم، ولم يشعر اليهود "السفارديم" الذين تدفقوا من انحاء الإمبراطورية العثمانية بالاغتراب داخل مصر، بل كانوا يدخلون إلى الإسكندرية دون وثيقة سفر، وهو

---

[٥٢]- محمد ابو الغار، يهود مصر في القرن العشرين: كيف عاشوا ولماذا خرجوا؟، مرجع سابق، ص ٧.

[٥٣]- נחם אילן (עורך), מצרים, בסדרת "קהילות ישראל במזרח במאות התשע-עשרה והעשרים", הוצאת משרד החינוך ומכון בן צבי, 2008, עמ' 52..

مـاكان ينطـبق أيضا على غير اليهـود[٥٤].

لقد استقر المهاجرون اليـهود فى الإسكندرية، وعملوا مع الأرمن والشوام المسيحيـين، كوسطاء بين رجال المال والتجـارة فى أوروبا، والتجار المحليين، كمـا فتح الاشـتغـال بالـتجـارة آفاقًا من الـنشـاط المالـى الضـخم للأسر الـيـهوديـة الثـرية وعـلـى رأسـها: عـائلـة "دى مـنشـة وعائـلة "رولو"[٥٥].

وفي نهاية القرن الـ ١٩ ارتفع عدد اليهود إلى ٢٥٢٠٠ ألف نسمة، معظمهم في القاهرة والإسكندرية، وطبقا لأحصاء السكان عام١٩٤٧ بلغ عدد اليهود في مصر حوالي ٦٤,٤٨٤ فردا كان يتركز معظمهم في القاهرة ٣٦,١٥٥، وفي الإسكندرية ٢٥,١٨٣ اما الباقون منهم فقد انتشروا في منطقة القنال والدلتا وهو آخر تعداد قبل الهجرة النهائية لليهود من مصر خلال العقد التالي. وكان هناك ٥ الالاف يهودى فقط يحملون الجنسية المصرية، وحوإلى٣٠ ألفا يحملون الجنسية الأجنبية والأخرون لا جنسية لهم. ومن اليسير فهم سبب حصول الكثيرين من اليهود على الجنسية الأجنبية وذلك للأستفادة بنظام الأمتيازات الذي كان يعفيهم من الخضوع للسلطات المصرية ويؤمن لهم حماية القناصل الأجانب إلى جانب حقوق اخرى استثنائية[٥٦].

لقد انقسم يهود مصر اجتماعيا إلى ثلاث طبقات مميزة، وهي الطبقة العليا والتى تألفت من عدد كبير من العائلات الغنية التى لها صلات مميزة بكبار الساسة والمسؤولين في الدولة، وكان بعض منهم يحمل رتبة الباشوية في العهد الملكى، وطبقة وسطى تتكون من رجال الأعمال والصناعة والمحامين والأطباء وأصحاب المحلات والدكاكين، وطبقة ثالثة متواضعة الحال. وكان اغنياء اليهود وكبارهم يتحدثون الفرنسية، أما فقراؤهم فقد كانوا يتحدثون باللغة العربية[٥٧].

---

[٥٤]- יעקב לנדאו, היהודים במצרים במאה התשע-עשרה ירושלים: מכון בן-צבי באוניברסיטה העברית, תשכ"ז, עמ' 72.

[٥٥]- عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، مرجع سابق، ص ٣٠٦.

[٥٦] - عواطف عبد الرحمن، المشروع الصهيونى الأختراق الصهيونى لمصر من ١٩١٧ حتى٢٠١٧، مرجع سابق، ص ١٩.

[٥٧]- المرجع السابق.

قائمة المراجع :

المراجع العربية

- عرفة عبده على، يهود مصر منذ الخروج الأول إلى الخروج الثانى، درا الارقم، ١٠٩٩٨
- محمد ابو الغار، يهود مصر في القرن العشرين: كيف عاشوا ولماذا خرجوا، دار الأداب ،٢٠٠٩
عواطف عبد الرحمن، المشروع الصهيونى الأختراق الصهيونى لمصر من ١٩١٧ حتى٢٠١٧، دار قباء ، ٢٠٠٨

المراجع العبرية

- בינין, ג'ואל, פזורת יהודי מצרים, רסלינג הוצאת ספרים, 2007,
- בת יאור, יהודי מצרים, רמת גן: הוצאת ספרית מעריב והקונגרס היהודי העולמי, 1974
- יוסף בן מתתיהו, קדמוניות היהודים, ספר 18, פרק ח', פסקה א', סעיפים 257-260.)
- יעקב לנדאו, היהודים במצרים במאה התשע-עשרה ירושלים: מכון בן-צבי באוניברסיטה העברית, תשכ"ז
- נחם אילן (עורך), מצרים, בסדרת "קהילות ישראל במזרח במאות התשע-עשרה והעשרים", הוצאת משרד החינוך ומכון בן צבי, 2008
- רים פרנקל, "האוהבים והנדיבים" : עילית מנהיגה בקרב יהודי אלכסנדריה בימי הביניים, מכון בן צבי, 2006
- רים פרנקל, "האוהבים והנדיבים": עילית מנהיגה בקרב יהודי אלכסנדריה בימי הביניים, מכון בן צבי, 2006
- שלמה דב גויטיין, חברה ים תיכונית, מאנגלית: איה ברויר, עריכת תרגום: דליה טסלר. עריכה אקדמית: מירי שפר. תל אביב: ידיעות אחרונות, 2005

المراجع الأجنبية

- Kasher, Aryeh, The Jews in Hellenistic and Roman Egypt: The Struggle for Equal Rights, Ipid
- Mahaffy, Sir John Pentland the History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, Ipid.
- Marc R. Cohen, Jewish Self-Government in Medieval Egypt, Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1980
- linoar Bareket, Fustat on the Nile: The Jewish Elite in Medieval Egypt, Leiden: Brill, 1999,

الفهرس

الموضوع	الصفحة
يهود الإسكندرية في عصر البطالمة:	١
يهود الأسكدرية في العصر الرومانى:	٨
يهود الإسكندرية بعد الفتح العربى:	١٧
يهود الإسكندرية في العصر الحديث:	٢٤